

سمو الإسلام

## مكارم الاخلاق على ضوء الكتاب والسنة

صهيب أحمد شكيل أحمد خان

نيودلهي

الحمد لله رب العالمين وأشهد ان لا إله الا الله قيوم السماوات والأرضيين وأصلى وأسلم على رسوله محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين، الذي محا الله به الظلمات وأعلى به منار الأخلاق.

وبعد: فان خير ما يتحلى به المومنون الأخلاق وأفضل ما يسعى اليه المرء التأسي برسول الرحمة الذي قال الله تعالى عنه ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم:04) وحين سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق به قالت: ﴿كان خلقه القرآن﴾ (مسلم) وبما ان الاخلاق لا غنى عنها للمرء والجماعة لما لها من أهمية بالغة وتأثير فى سلوك المرء وما يصدر عنه وقيمة المرء تتوقف على نوع المعانى الأخلاقية التى يحملها من حيث جودتها ودرائتها ومدى رسوخها فى النفس.

والخلق فى اللغة هو ما يأخذ به الانسان نفسه من الادب لانه يصير كالخلق فيه وحسن الخلق قد يكون هبة من الله عز وجل بحيث يولد الانسان كامل العقل، حسن الخلق كما هو بالنسبة للانبياء وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة وحمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمثلا من أراد أن يتخلق بالكرم والسخاء فعليه أن يتكلف الانفاق فى وجوه الخير وهكذا فى جميع الاخلاق المطلوبة والتى أمر بها الاسلام وكان رسول الله ﷺ قدوة وأسوة لنا فيها كما قال جل سبحانه وتعالى ﴿لقد كان لكم فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الاحزاب: 21) وقال النبى ﷺ عن نفسه "انما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق" (الحديث) فكانه بعث لهذا ولم يبعث لشيء سوى هذا ولقد بعث الله رسوله وجمله بكل الفضائل وعصمه من كل الرذائل ليكون لنا قدوة وأسوة حسنة وبقدر حرصنا على مرضاة ربنا وحسن مصيرنا فعلينا التحلى والالتزام بأخلاق نبينا لأن الاسلام هو مكارم الأخلاق ومكارم الأخلاق هى الاسلام.

ان الطوابع المميزة للأخلاق الإسلامية في العموم هي انها قبل كل شيء لا تستهدف ربها فرديا ولا ترمى الى غاية شخصية أو منفعة خاصة وانما هي تقصد الصالح الفردى الاجتماعى والانسانى وهى كذلك مصوغة فى صيغة رسالة الهية يراد نقلها الى البشر أو هي تعاليم سماوية مواجهة الى العقول والارادات الانسانية لتختار بين اتباعها وعصيانها فى حرية تامة وفى كل الأحوال هى النور السماوى الذى يرشد الجميع الى طريق الهدى الذى ينتهى بالسائر فيه الى الاستقامة والصلاح وذلك مثل الحقيقة والعدالة واليقين والعلم والحكمة والتماسك الذى لا يقبل التزلزل، وبالأجمال هى كل ما يبرئ القلوب من أمراضها ويرتفع بالنفوس الى النبل والكمال. وقد كان من دعاء النبى ﷺ "اللهم اهدنى لأحسن الاخلاق، لا يهدى لأحسنها الا أنت، واصرف عنى سيئها، لا يصرف عنى سيئها الا أنت" (مسلم) فالأخلاق هى مجموعة من المعانى والصفات المستقرة فى النفس وعلى ضوءها يحسن الفعل فى نظر الانسان أو يقبح كما قال الشاعر العربى:

يا أيها المتحلى غير شيمته      ان التخلق يا تى دونه الخلق

وللأخلاق أهمية كبرى ومنزلة رفيعة فى سلوك المرء وما يصدر عنه وموافق لما هو مستقر فى أعماق نفسه من المعانى والصفات ودور الخلق يتفاعل داخل الجسم ويتحول الى قوى وطاقة ونشاط يظهر أثره ويبرز للعيان فدور الخلق لا يكون حقيقيا حتى تمتلى به النفس فيكون ما يصدر عن الفرد انما هو قبس من نور الخلق الذى يتحلى به ومن شأن دور الخلق فى تنشئة الفرد أن يوقظ حاسة الخير ويربى ملكة المراقبة فى النفس ويبعث على طلب معالى الأمور واشرافها وينأى بالفرد عن المحتقرات وسفاسف الاعمال كما جاء فى الحديث "ان الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الاخلاق ويكره سفاسفها" (رواه الحاكم) والاسلام لا يدع أى ناحية من نواحي الخلق الكريم الا يدعو اليها بقوة ويحث عليها بحماسة يقول الرسول ﷺ "ألا أنبئكم بخياركم، قالوا: بلى، قال: خياركم أطوالكم أعمارا وأحسنكم أخلاقا" (رواه أحمد) وقد شن الاسلام حربا على أهل الحقد والغل والحسد، وأمرنا الله أن نستعيذ فى كل لحظة من الحاسدين كما نستعيذ من الشيطان الذى يفسد فى الأرض كما يقول ﴿ومن شر حاسد اذا حسد﴾ (الفلق:05) وطبيعة الحسد طبيعة لئيمة فهى تاتى الا أن تجهر بالسوء وتأمر بالفحشاء وتنكر المعروف وتقبح الحسن وتذم ما هو جدير بالمدح والثناء.

والحسد والعصبية كانت من شأن المجتمع الجاهلى وبعد انتشار الاسلام فى المعمورة انتقلت العصبية النتنة والكبر والحقد والتعاضم على الناس الى اليهود الذين يدعون انهم شعب الله المختار لذلك يجب على من ينتسب الى الاسلام الفرار من تلك الصفة اليهودية. اما المنهج الذى يامر الاسلام بسلوكه مع الآخرين سواء كانوا مومنين أو غيرهم فهو دائما مؤسس على العدل والانصاف والوفاء بالعهد ويأمر الله المؤمنين بالخضوع المخلص والطاعة الصادقة للقانون الأخلاقى الذى يعبر عنه الشرع بأنه هو الطابع المميز للمومن التقي بل هو يجعل من الشرائط الأساسية التى تحقق فى المسلم قبل كل شىء أن تتجه أفكاره وميوله نحو الازعان للقانون الأخلاقى بدافع احترامه للأوامر الالهية دون تطلع منه الى منفعة خاصة أو فائدة شخصية.

ومما يسترعى الانتباه فى هذا الصدد ان الأخلاق تكمن فى ترويض النفس على قبول نصيحة المتدين الكيس الورع الصادق فان المومن يرى من عيوب غيره ما لا يرى الغير من عيوب نفسه ومن هنا حسنت صحبة الأخيار الذين ورثهم الله الأنبياء وحملهم رسالاتهم وقيادة المجتمع الى الله وحقق بهم معانى الهدى والرشاد وأودع فيهم حفظ هذا الدين هم العلماء ذو الأخلاق الفاضلة قال تعالى فيهم ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر:28) فينبغى للداعية الى الله أن يتأسى برسول الله ﷺ فى دعوته وذلك أن يدعو الى الله بالحكمة ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (الآية).

والجدير بالذكر ان مراعاة الأخلاق للقيم لا تقبل الذل ولا الضيم ولا الصبر على الهوان بل شعارها الاعتزاز بالمبادئ العليا التى ثمرتها الايمان بالله والتى أعز الله بها المؤمنين قائلًا: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمومنين﴾ (المنافقون:08) كما جعل الله الرحمة شعارا للقيم الأخلاقية رأينا ان الفضائل التى يامر بها الاسلام لا تتعلق بالجوانب المادية أو بالشئون العملية من الحياة فحسب، بل هى قبل كل شىء مسئولية معنوية مثالية رفيعة وهى مطلوبة من كل فرد وجماعة فى الأمة فان الانسان هو فوق كل تقدير حين ينظر اليه على أنه موضوع للأخلاق العملية.

وأخيرا أسأل الله أن يهدينا لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها الا هو وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها الا هو وأن يؤتى نفوسنا تقواها ويزكيها هو خير من زكاها، له مماتها ومحياها وهو العزيز الغفور.

